

حكايات غيرت الدنيا ١
نبيه
الصادق الجسور
والبومة المشئومة
محسن محمد محسن

الصادق الجسور والبومة المشئومة

كانتْ نيفينُ مُستغرقةً فى قراءةِ كتابٍ مُمتِع ، عندما اقتربَ أحمدُ منها ، وفجأةً خطفَ الكتابَ من يدِها وجرَى مُبتعدا ، مثلَما يفعلُ معَها دائما ..

فَصَرَخَت نيفينُ فى حِدَّة :

ــ هاتِ الكتابَ يا أحمد ، حتَّى أنتهِىَ منهُ أوَّلا .

صاحَ أحمدُ ليَغيظَ نيفين :

ــ ولماذا لا أقرؤُه أنا أوَّلا ؟ ألستُ أنا الرَّجل ؟

فجرتْ نيفينُ خلفَه ، تحاول استردادَ الكِتاب منهُ ، فلوتْ ذِراعَه وصاحتْ فيه :

ــ لماذا تأخذُ ما ليسَ لكَ يا ثقيل ؟

تخلّص أحمدُ منها ، وقد أحسَّ بالألم فى ذراعِه ، وصاح :

ــ ما دمتُ ثقيلَ الظِلِّ كما تقولين ، فاذهبى أنت وكتابُك إلى الجَحيم .

وقذفَ الكتابَ بقُوَّة ، فارتطمَ بالزَّهريةِ الأَثريَّةِ الجميلة ، الموضوعةِ فوقَ العَمودِ الرُّخامىّ ، فأطاحَ بها ، وسقطتْ على الأرضِ قِطعًا مُتناثِرَة .

فصاحتْ نيفينُ خائفة :

ــ أرأيتَ ما فعلت ؟ فقدْ جررْتَ علينا المصائب ، فأنت تعلمُ قيمةَ هذه الزَّهريةِ عند جَدَّتِنا . فإذا علِمَ أبى بالأمر ، فسيُوقعُ بنا أشدَّ العِقاب .

انتقلتْ عدوَى الخوفِ إلى أحمد ، فاقتربَ من نيفينَ وهمس :

ــ أرجوكِ يا نيفين .. أرجوكِ يا أُختى الحَبيبة ،



أَلَّا تذكرى شيئاً ممَّا حدث :

فاعترضتْ نيفين :

ـــ كيفَ باللهِ عليك ؟ وأنتَ تسبَّبتَ ..

قاطعَها أحمد ، يُحاول أن يُكمِّمَ فمَها بيدِه :

ـــ اسمعى يا أُختاه .. لا يوجدُ غيرُنا بالمنزل ، فقد خرجَ الجميع .. فلنذهبْ إلى غُرفتِنا فكأنَّنا لم نرَ أو نسمعْ شيئا .

فاحتجَّتْ نيفين :

ـــ وما شأنى أنا ؟ فقد كسرتَها وحدَك .

قال أحمدُ فى خُبث :

ـــ وهلْ تعتقدينَ أيتُها السَّاذَجة ، أن تَنجِى من العقابِ إذا قلتِ ذلك ؟ فقد كنَّا نتشاجرُ كِلانا ، وكتابُكِ هو الَّذى حطَّم الزَّهريَّة .

فتساءلتْ نيفينُ مُحتارة :

ـــ وَماذَا تُرِيدُنى أن أفعَل ، فأَنتَ بالطَّبعِ لا تُرِيُد أن أكذِبَ لأتَستَّرَ عَليكَ ..

قال أحمد :

ـــ لا تكذِبـــى ، ولا تنطِقـــى بكَلِمـــة ، بل تساءَلِى : أَيَّةُ زَهرِيَّة ؟ فلمْ أسمعْ ولم أرَ شيئا .. هذا هو كلُّ المطلوبِ منك ، فينتهى الأمرُ عند ذلك ، إنْ شاءَ الله .

دخلت نيفينُ وأخوها غرفتَهُما ، وأغلقا البابَ فى هدوء ، وكـأنَّ شيئًـا لم يحـدُث .. ومـا هِىَ إلا لَحظـات ، حتـى عادتِ الخـادمُ من السُّوق ، ودخلتِ المطبخَ دونَ أن تلحظَ شيئا .

ومرَّت الدَّقائقُ بطيئةً ثقيلة ، وأحسَّ أحمدُ أنَّه يعُدُّ دقَّاتِ قلبِه مع دقَّاتِ ساعةِ الحائط . إلَى أنْ فُتح البابُ فجأة ، ودخلتِ الجَدَّةُ العَجوز ، وسَرعانَ ما كشفتِ

الأمر ، إذ كانتْ تعتزُّ بزَهريَتِها الأثرَيَّة ، كما وجدتْ كتابَ نيفينَ مُلقًى إلى جانِب الزَّهريَّةِ المُحطَّمة .

أدركتِ الجدَّةُ الحكيمةُ الأمر ، فنادتِ الخادم :

ــ أيَّتها الشقية !. ماذا فعلتِ بزَهريَّتى الغالِية ؟

جاءتِ الخادمُ على عَجل ، فهالَها ما رأتْ ، وصاحت :

ــ لا أعلمُ شيئًا ممَّا حدث .. وأُقسِمُ أنّى ذهبتُ إلى السُّوق ، وتركتُ الولَدين وحدَهما فى البيت .. وعدتُ منذُ هُنيهة ، ودخلتُ المطبخَ من فَوْرى .

غمزتِ الجدَّةُ الحكيمةُ للخادمِ بعيْنِها ، وهمستْ لها :

ــ إنِّى أعلمُ أنَّكِ بريئة ، ولكنِّى أُريدُكِ أن تَبكى وتصرُخى وتُعلنى براءَتكِ من التُّهمة ، بينَما أستَمرُّ أنا فى تعنيفِك .. هيا ..



وراحتِ الخادمُ تبكى وتُوَلْوِلُ وتندُبُ حظَّها العاثر ، وتدعو الله أن يُظهر براءَتها من تُهمةٍ لم ترتكبْها .

بينما الجَدَّةُ العجوزُ تصيحُ غاضبة :

ــ لن أكتفى بضربِك .. ولن أسكتَ على بقائِك بالبيت ، وسأجعلُك تعملين شهورا بالمَجّان ، حتَّى تُسَدِّدى ثمنَ الزَّهرية ، وبعدها أطرُدُك طرْدَ الكِلاب .

فصرختِ الخادم :

ــ أأُضربُ يا سيِّدتى وأُطرَد ، وأعمَلُ بالمَجَّانِ جَزاءَ ذنبٍ لم أرتكِبْهُ ؟

سمِعتْ نيفينُ ذلك ، فصاحتْ فى أخيها :

ــ أرأيتَ ما فعلت ؟ ها هو غيرُنا يعاقَبُ بذَنبِنا .. لن أسكتَ على ذلك أبدا ..

فقبضَ أحمدُ على يدِها وسألها :

ــ ماذا تُريدينَ أن تفعَلى ؟

فقالت على الفَوْر :

ــ سأُخْبرُ جَدَّتى بكلِّ ما حدث .

فسألَهَا خائفا :

ــ أتُخبرينَها حقا ؟ ألا ترَيْن كم هى غاضبة ؟

أجابتْ نيفينُ مصمِّمة :

ــ لا يَهُمُّنى .. سأقولُ الصِّدقَ وليَحدثْ ما يحدُث .

فارتجفَ أحمدُ وقال :

ــ ألم تسمعى العقابَ الَّذى ستُنزِلُهُ بالخادم .. أتريدين حقا أن نحُلَّ محلَّها ؟

فاحتدت نيفين :

ــ أو لسنَا نحنُ الأحقَّ بِالعقاب ؟ ثمَّ إنَّنا يجبُ أن نقولَ الصِّدقَ ونتحمَّلَ العُقوبة ، نحنُ الاثنين ،

فنحنُ اللّذانِ نستحقُّها .

وخرجت نيفينُ مسرعةً من الغرفة ، وأخبرتْ جدَّتها بما حدثَ بالضَّبط ، وختمت حديثَها بقولها :

ـــ أنا لا يَهُمُّنى ما يقع علىَّ من عقابٍ يا جَدَّتى ، ولكن يَهُمُّنى أنِّى قلتُ الصِّدق ، فأرحتُ ضميرى ، ونجَّيت غيرى من عقابٍ لا يستحقُّه .

صاحتِ الجدَّة منادية :

ـــ تعالَ أيُّها الجبان .

فجاءَ أحمدُ منكِّسا رأسَه ، يرتجفُ من الخوف ، وقال :

ـــ سامِحينى يا جَدَّتى .. فلمْ أكنْ أقصِدُ ذلك .

فسألته جَدَّته :

ـــ وهل كنت تقصِدُ أن يُؤخذَ بذنبِكَ برىءٌ لم

يرتكبْ ذنبا ؟

فقال أحمد :

ـ سامِحينى يا جَدَّتى .. سامِحونى كلُّكم .

قالتِ الجَدَّة :

ـ ما دمتَ أقررتَ بذنبِك ، فقدْ سامحتُك .. وبهذِه المُناسبة ساُطلِعُكما على سِرٍّ يا وَلَدىّ .

فسألتْها نيفينُ مدهوشَة :

ـ ما هو يا جَدَّتى ؟

قالتِ الجدَّة :

ـ إنَّ الزهريةَ الأَثريَّة لم تُكسر ، فقدْ أقنعنى أبوكما بِبَيْعِها عندَما كنتُم فى المَصيفِ فى العام الماضى ، أمَّا هذه الَّتى تحطَّمت ، فهى زَهريَّةٌ مُقلَّدة ، رَخيصَةُ الثَّمن .

تنهَّدتْ نيفينُ فى ارتياح ، وقالت :

ـــ الحمدُ للهِ .. الحمدُ للهِ .. حقًّا إنَّ الصِّدقَ مفيد .

قالت الجدة :

ـــ وقد ذكَّرتنى قِصتُّكما هذه بِقِصَّةٍ مُشابهة .

غلبَ أحمدَ الشَّوقُ فقال : وما هى تلكَ الحِكايةُ يا جَدَّتى ؟

قالتِ الجَدَّة : هىَ حكايةُ الصّادقِ الجَسور ، والبومةِ المشئومة .

فردَّدت نيفين :

ـــ الصّادقُ الجَسور والبومةُ المشئومة ؟

قالت الجدَّة :

ـــ نعم ، البومةُ المشئومةُ الَّتى عجزَ عنْ قتلِها كلُّ الحُرّاس ، وقتلها الصَّادقُ الجسورُ وحدَه .

صاحَ أحمدُ فى فرح :

ــ احكي لنا الحكايةَ يا جَدَّتي ، عسَى أن نستَفِيدَ منها .

قالتِ الجَدَّة :

ــ كان ياما كان .. وكم فى الزمان ، من عِبَرٍ ومعانٍ . يُحكى أنَّه فى قديمِ الزَّمان ، وسالِفِ العصْرِ والأَوان ، كانَ يعيشُ فى إحدَى المدُنِ صديقانِ صغيران ، يلعبانِ ويمرحان ، فى باحَةٍ بجوارِ قصْرِ السُّلطان ، اسماهُما حَمَدٌ وحَميد .

وذاتَ يوْمٍ قالَ حمَدٌ لِحميد :

ــ ما رأيُك يا حميد ، أنْ نلعبَ اليومَ فى داخِلِ قصْرِ السُّلطان ، وفى حديقَتِه بالذَّات ؟

ذُعر حميدٌ وصاح :

ــ ماذا تقول ؟ نلعبُ داخلَ قصرِ السُّلطان ؟ هل جُننْتَ ؟

فقالَ حمدٌ هامسا :

ــ اخفِضْ صوتَك حتّى لا يسمَعَنا أحد ، فقدِ اكتشفتُ شيئًا هامّا .

فسألَ حميد :

ــ وما هو ؟

فأخذَ حَمدٌ بيدِ حَميد ، واقتربَا من قصرِ السُّلطان ، وأشارَ إلى موضِعٍ أسفلَ سورِ القصر :

ــ انظرْ إلى هذا الثَّقبِ في السُّور .. ألا يتَّسعُ لنمرَّ خِلالَه إلَى حديقةِ قصرِ السُّلطان ، حيثُ نلعبُ بين الزُّهور ، ونسعَدُ بتغريدِ الطُّيور ، ونأكلُ من فواكِهِ أهْلِ القُصور ؟

فدُهشَ حميد لجرأةِ صَديقِه حمد ، وقالَ له :

ــ ألا تخافُ أن يُمسكَ بكَ الحُرّاس ، لاقتحامِكَ مكانًا ليسَ لك ؟ ماذا أصابَ عقلَك ؟

فقال حمد ، يستحِثُّ صديقَه علَى الدُّخولِ من فتحةِ السُّور :

ـــ لا تكنْ جبانًا تخافُ أىَّ شىء .. اطمئنْ ، فهذا الجزءُ منَ الحديقةِ مَهجور ، ولا يقفُ به حُرَّاس كباقِى أجزاءِ القصر .. ثم إنَّ وجود طِفلَين صَغيرَيْنِ مثلِنا داخلَ الحديقة ، لنْ يضُرَّ أىَّ إنسان ، ولن يُقلِقَ السُّلطان .. ابتعدْ عن أعينِ الحُرَّاس ، واتبعْنى أيُّها الجبان .

تردَّد حميد فى الإقدامِ على هذه المُغامرة ، ولكنَّ وصفَ حمَدٍ إيّاهُ بِالجبن ، جعلَه يتبعُه ساخِطا ، وقال :

ـــ سترى يا حمَدُ أنِّى لستُ جبانًا كما تقول .

ودخل الصديقانِ الصَّغيرانِ بستانَ السُّلطان ، فهالَهما ما رأيا من آياتِ الجمالِ الَّتى أبدعَها

المُزخرِفون ، وهالَهما أكثرَ أنْ وجَدا المكانَ مهجوراً مُهملا ، لا يَلقىَ عِنايةً من أحد .

ونظرا حولَهما فرأيا أشجارَ الفاكهةِ الَّتى لا مثيلَ لها فى أىِّ بُستان ، ورأيا الطُّيور المُغرِّدَة ، ورأيا حوضَ السِّباحةِ الواسعَ المُمتلىءَ بِالمياهِ الصَّافية .

نسِىَ حميد نفسَه أمامَ مظاهِر الجمالِ فى الحديقة ، الَّتى أخذتْ بلُبِّه ، وتطَّلعَ إلى مبانى القصر فسحرَه زُجاجُ الشُّرفةِ الكبيرة ، الَّتى تتوسَّطُ القصر ، فهىَ مليئَةٌ بالزُّجاجِ ذى الألوانِ البرَّاقَةِ الجذَّابَة ، الَّتى تخلُبُ الألْباب .

صاح حميد مدهوشا :

ـــ يا لَروْعةِ الجمال .. تعالَ وانظرْ يا حمَدُ إلَى هذا الزُّجاجِ الغريب . كيفَ أمكنَ صبغُهُ بكُلِّ هذه الألوانِ الجميلة ؟ إنَّ أشِعَّةَ الشَّمسِ تسقُطُ عليه ،

تنعكسَ هذا البريقَ الجذّاب ، الّـــذى يأخـــذُ بالألباب ..

اقتربَ حمدٌ منه وهو يضحك :

ــ ألـم يعجبْكَ إلّا هذا الزُّجـاج ؟ إنَّك مِثلَ السُّلطانِ من عُشّاقِ الجمـال .. فقـدِ اشتَرى هذا الزُّجاجَ من بلادٍ بَعيدة ، وهو يعتَزُّ به كَثيرا ، ويُنظّفُه بنفْسِه ، ولا يسْمحُ لأحدٍ بدُخولِ تلكَ الشُّرفة .. ولكنْ تعالَ انظُر ما هو أهَم .

سحب حمدٌ صديقَه حميدًا من يدِه ، وأسرعَ به ناحيةَ شجرةٍ مُمتلِئةٍ بِثمار المانجو الشَّهيّ ، وقالَ هامسا :

ــ انظر ! أرأيتَ عمرَكَ شجرةَ مانجـو تطـرَحُ ثِمارًا بهذا الجَمال ؟ أيُّهما أفضل : أهذِهِ أمْ زُجاجُك المُلوَّن ؟

وذُعِرَ حميدٌ وهو يرى صديقه حمدًا يُخرجُ من جيبِه حجرا ، ويُلقيه على شجرةِ المانجو ، فصاحَ به :

ــ ماذا تفعلُ يا حمد ؟ أَجُنِنْتَ ؟ هيا بنا ويكفى ما رأيناه .

وفيما هما كذلك إذ سقطتْ على الأرضِ أمامَهما ثمرةُ مانجو كبيرة ، فأخذَها حمدٌ وقضَمها بشَراهة ، وقالَ مُتلذِّذا :

ــ ما ألذَّها ثمرة .. أتُريد أن تذوقَ قضمة ؟

فقاطعه حَميد :

ــ هذه سَرِقةٌ لا أُقِرُّكَ عليها أبدا .. هَلمَّ بنـا ، وكفَى ما فعلت . صاح حمد :

ــ الظَّاهر أنَّك تغارُ منى ، إذْ أُصيبَ الهدَفَ بِدقَّة ، لا داعىَ لأنْ تغارَ ، يامِسكين : فهذا حجرٌ

آخرُ سأُلقيه على تلك الثمرة ، لأُسقطَها وأُعطيكَ إيّاها ، حتَّى لا تغارَ منى أيُّها الخائب .

فصاحَ حميد ، وقد استحثَّه التَّحدّى :

ــ إنَّكَ لستَ أحسنَ منِّى فى إصابةِ الهدف .. أعطنى هذا الحجر .. وسترَى أنِّى أُصيبُ الهدفَ أبدعَ منكَ .. سأُصيب ثمرةً أبعدَ من ثمرتِك ، لأُثبتَ لكَ أنِّى لستُ خائبًا كما تقول ، ولكنِّى لن أستولَى على الثَّمرةِ الَّتى تقع ، كما تفعلُ أنت .

فقالَ حمدٌ فى تحدٍّ :

ــ لا تُراوغْ ، وأرنى كيفَ تُصيبُ الهَدَف .

أمسكَ حميدٌ الحجرَ فى يدِه ، وسدَّدهُ إلى ثمرةِ مانجو فى شجرةٍ بعيد ، وأطلقَه ، فسُمعَ صوت قَرقَعةٍ شَديدة ، تلاها سُقوطُ زُجاجِ الشُّرفةِ الكَبيرةِ الملوَّن ، وتناثُره إلى مئاتِ القطعِ الصَّغيرة ، كما سُمِعَ نعيبُ

بومَةٍ حادٌ مُزعِج ، يشُقُّ السُّكونَ فجأة ، كأنَّما البومةُ تموتُ مِنَ الألمِ والرُّعب .

نظر حميدٌ حوالَيْه فى رُعب ، فقدْ أخطأَ الحجرُ الَّذى قذفَه ، فأصابَ زُجاجَ الشُّرفةِ الكبيرة بدَلًا من أن يُصيبَ ثمرةَ المانجو ، فما يفعل الآن ؟

صرخ فيه حمد :

ــ أهذه هى إصابةُ الهدفِ يا مُغفَّل ؟.. وأىّ هدف ؟ هلمَّ بنا بسُرعة قَبل أن يملأَ الحُرّاسُ المكان ، ويقبِضوا علينا ، ولا ندرى ساعتَها ماذا يفعلونَ بنا ؟

وجَرَى حميدٌ بلا وِعْيٍ وراءَ حمدٍ فى ذُعْرٍ شديد ، وخرجا من فتحةِ السُّور ، وأطلقا سيقانَهما للرِّيح ، حتَّى ابتعدَا عنَ القصرِ تماما ، فوقفا يستريحانِ ويستردَّانِ أنفاسَهُما .

قال حمَد :

ـــ الحمـدُ لله .. نجوْنـا من نقمـةِ السُّلطـــانِ بمُعجزة .

قال حَميد :

ـــ إنِّى حزيـنٌ جدًّا لمـا حدث .. ليتَنـــى ما طاوعتُك ألبتَّه .

فنظرَ إليهِ حمَدٌ وقالَ ساخِطا :

ـــ احمَدِ اللهَ على نجاتِك .

قال حَميدٌ فى أسى :

ـــ أىُّ نجاة ؟ إنَّها نجاةُ إنسانٍ جبان . فمـاذا أفعلُ بجُبنى وضميرى يُعذِّبُنى .. ألا يُحتملُ أنْ يأخذَ السُّلطان غيرَنا بذنبِنا ؟

قال حمَدٌ مُستغربا :

ـــ ومنْ يعذِّبُ السُّلطان ، ما دامَ لم يجدْ أحدًا فى

البُستان ؟

قال حميدٌ فى أسى :

ــ ألا يحتمَلُ أن يعذِّبَ السُّلطانُ الحارَس ، أوِ البُستانىَّ المسئولَ عن الحديقة ، لإهمالِهما فى الحِراسة ؟

قال حمَد :

ــ وإن فَعل ، فما شأنُنا نحن ؟

قال حَميد :

ــ كيفَ ونحنُ السَّببُ فى تحطيمِ الزُّجاجِ الَّذى يعتَزُّ به السُّلطان . فلولا إطاعتى إيّاك ، ودخولُنا الحديقة ، ما حدثَ شىء من هذا .

قال حمَدٌ مُحتَجًّا عليه :

ــ أتريدُ أن تُلقى باللَّائمةِ علىَّ ؟ أمْ تُريد أن نُلقى بأيدينا إلى التَّهلُكَة ، فنذهبَ ونقولَ للسُّلطان : إنَّنا

نحنُ اللَّذانِ كسرْنا زجاجَك ، فهيَّا عاقِبْنا .. هيَّا بنا بسُرعة ، فإنِّى أرى حارِساً شيخًا مُقبِلا يلهَثُ من بعيد .

قال حميد حزينا ، وهو يتبَعُ حمَدا :

ـــ حقًا إنَّ النَّفسَ أمَّارَةٌ بالسُّوء ، فربما كان هذا الشَّيخُ المِسكينُ هو الحارِسَ المسئولَ عنِ الحَديقة ، جاءَ يبحثُ عن الفاعل ، لينجوَ هو من عقابِ السُّلطان .

قال حمَدٌ ساخطا :

ـــ هيّا .. هيّا إلى البيتِ ولا تفكِّر فى هذا الأمرِ ثانيةَ . وإيَّاكَ إيَّاكَ أن تقُصَّ ما حدثَ على أحد ، فسأُنكِرُ أنا كلَّ شىء .. سأُنكر حتَّى معرفَتى إيّاك .

ومضَى حمَدٌ وحميدٌ إلى حالِ سبيلِهما ، ومرَّت على تلك الحادثةِ ثلاثةُ أيَّام ، وفى اليومِ الرَّابع أعلنَ



لسُّلطانَ أنَّ على من تسبَّب فى تحطيمِ زجاجِ شُرفةِ قصرِهِ ، أن يحضُرَ من فورِهِ لمُقابلَةِ السُّلطان ، لأمرٍ هامٍّ فيه خيرٌ له .

وما أن سمِعَ حميدٌ بهذا الإعلان ، حتَّى أسرع إلى صديقِه حَمدٍ وقالَ له :

ـــ أسمعتَ إعلانَ السُّلطان يا حَمَد ؟

فقالَ حَمَد فى ذهول :

ـــ وما الَّذى يَهُمُّك منْ هذا الإعلان ؟ إيَّاك أن تقولَ إنَّ ضميرَك يؤَنِّبُك . إنَّنا لا شأنَ لنا بهذا الأمر .

قال حميدٌ ضائِقًا بِصديقه :

ـــ أنتَ لا تعترِفُ بالحقِّ أبدا .. وتَحيدُ عنه دائما .. سأذهبُ وحدى إلى القصر ، وأعترِفُ للسُّلطانِ بكل ما حدث ، فضميرى يؤنِّبنى فعلا .

فذهِل حَمَد ، وقال لصدِيقه وهُوَ يرتجف :

ــ أَجُنِنْتَ ؟ أتظنُّ أنَّهم يقولونَ على من تسبَّبَ فى تحطيمِ الزُّجاج ، أن يحضُرَ لنُعاقِبَه ؟ لا بدَّ أن يقولوا لأمرٍ هامٍّ وفيهِ خيرٌ له ، ليستَدرِجُوه ليقعَ فى الفخ .

سيكونُ فى الشَّنقِ خيرٌ لك .. أتَرَى ذلك ؟ إيَّاك أن تذهبَ أيُّها السَّاذَج .. وعلى كلِّ حالٍ فأنا لم أكنْ معك ، ولا أعْرِفكَ منذُ اليوم ..

قال حميدٌ وهو ينهضُ فى استِسلام :

ــ سأذهب .. سأذهبُ يا حمد ، فأنا المَسئول وحدى ولا أُريد أن يُؤخذَ غيرى بذنبٍ اقترفتُه أنا .. أمَّا أنت ، فلا أُريدُ أن تعرِفَنى بعدَ اليومِ كطَلَبِك .. لا بدَّ أنْ أُنقِذَ الحارِسَ المِسكين .. ذلك الشيخَ الَّذى رأيناهُ يلهثُ ، وهو يبحثُ عنِ الفاعِلِ يومَ وُقوعِ الحادث . إلَى اللِّقاء يا صديقى !

ضحِك حمدٌ فى سخرية ، وهو يبتعد :

ـــ بل عليك يا صديقى أنْ تقولَ الوَداع .. ولآخرِ مَرَّةٍ أقولُ لك إيَّاكَ أَنْ تَذكُرنى عندَ السُّلطان ، فإنِّى سأُنكِر معرفتى إياكَ أَصْلاً .

ودَّع حميدٌ حمَدًا وقالَ وهو يبتَعِد :

ـــ لا تخفْ أيُّها الجبان .. فسأتَحَمَّل المَسئولِيَّةَ وحدى .. فأنا من ألقَى الحجرَ المشئوم ، ولا ذنبَ لكَ أَنت .

* * *

وذهبَ حميدٌ إلى قصرِ السُّلطان .

وبلغتْ بِهِ الدَّهشةُ مُنتهاها ، عِندمَا رَأَى التَّرحِيبَ الَّذى قَابَلَهُ بِهِ السُّلطان ، لَا سِيَّما بعدَ أن اصطَحَبَهِ إلى مجلِسِهِ وقال لَه :

ـــ اسمَعْ يا وَلَدِى .. لَقَد صَنَعتَ لِى أَيُّهَا الفَتَى

الصَّادِقُ الجَسُورُ ، مَعرُوفًا لَن أنسَاهُ لَكَ ما حَييت .

تَسَاءَلَ حَمِيد وقَد استَولَت علَيهِ دَهشَةٌ شَديدة :

ــ كيفَ يا مَولَاى ، وقَد حَطَّمتُ الزُّجَاجَ المُلَوَّن الَّذِى تَعتَزُّ بِهِ كثيرا ؟

قال السلطان ضاحِكًا :

ــ كنتُ يا وَلَدِى على استعدادٍ لأَن أدفَعَ أضعاف أَضعَافِ ثمنِ الزُّجاج ، لِمَن يَفعَلُ مَا فَعَلت .

صاحَ حَمِيد مُستغرِبا :

ــ وماذا فَعَلتُ يا مولاى ، أكثر من تحطِيمِ الزُّجاج ؟

قال السُّلطان :

ــ أكنت تَظُنُّ أنَّنا تركنا الفَتحَةَ فى سُورِ الحديقةِ سُدًى ؟ لقد صَنَعنَاهَا عامِدِين .

دُهِشَ حَمِيدٌ لِكَلَامِ السُّلطَان وسأَلَ :

ـــ أأنتُم صَنَعتُمُ الفتحةَ فى سُورِ الحديقــةِ بِأنفُسِكُم ، ولماذا يَا مَولاى ؟

ضحكَ السلطانُ وقال :

ـــ حتَّى يدخُلَ منها الصَّادِقُ الجَسور ، وَيُلقِى الحَجَرَ المُسَمَّم ، فَيقتُلَ البومةَ المَشئومة ، الَّتى عجزَ عن قَتلِهَا كلُّ النَّاس ، بما فيهِم القُوَّادُ والجُنود .. هَكَذَا تَقولُ النُّبوءَةُ يا وَلَدِى ..

سأَلَ حَميد مندهشًا :

ـــ أيَّةُ نبوءة ، وأيَّةُ بومةٍ مشئومة ؟ لا أفهمُ شيئًا يا مولاى .

قالَ السلطان :

ـــ منذُ شُهورٍ يا وَلَدِى ، أَصَابَتْنِى لَعنةُ سَاحِرٍ شِرِّير ، أَطلَقَ قُوى سِحرِهِ ، وأَودَعَهَا فى إحدَى البُوم .. وجاءَتِ البُومةُ اللَّعِينة ، وَعَشَّشَتْ فِى شُرفَةِ

قَصرِى .. ومُنذُ ذلِكَ اليومِ ، كُلَّما حَاوَلتُ النَّومَ تنْعَبُ بصوتٍ قَبيحٍ ، فما أَن أَضَعُ رأسِى على الوِسادةِ ، وأَتأَهَّبَ للنَّومِ لَيلًا أو نَهارًا ، حَتى يَبدَأَ نَعِيبُهَا المشئُومِ ، فَلَا أَذُوقَ رَاحَةَ النَّومِ طَوَالَ اليَومِ .

والغَريبُ فِى الأَمرِ يا وَلَدِى ، أَنِّى أَنَا الوَحِيدُ الَّذى يسمعُ صَوتَهَا حِينَ النَّومِ فقط ، وكلَّما هربتُ منها إلى أَىِّ مكانٍ ، تَبعَتْنِى كَظِلِّى ، ولم تُفلِحْ كُلُّ مُحَاولاتِنا فِى اصطِيَادِها ، إِلَى أن جَاءَنِى رجلٌ طَيِّب ، وأَخبَرَنى أَنَّنا لو تركنا إنسانًا صادقًا وجَسُورًا ، يعبرُ إلَى حدِيقَةِ القَصرِ ، ويُلقِى حَجَرًا كَبيرًا عَلَى شَجرةِ المَانجو ، فَستَبطُلُ لَعنةُ السَّاحِرِ الشِّرّير ، وأَنجُو مِن شَرِّه .. فَفكَّرتُ فِى الأَمرِ ، وقلتُ مَن هُوَ ذلك الجَسُور ، الَّذِى يجرُؤُ على اقتِحامِ قَصرِ السلطان ويُلقِى بحجَرٍ على أَشجارِ المانجو ، تحتَ بَصَرِ كلِّ هؤلاء

الحُرَّاسِ ، فأَمَرتُ بِعَمَلِ تِلكَ الفَتحةِ فى السُّورِ ، وَتَرَكتُ ذَلِكَ الرُّكنَ فِى الحَديقةِ مُهمَلا ، حتَّى تدخُلَ أَنتَ ، وتُلقِى الحَجَرَ المُسَوَّمَ وتقتُلَ البُومَةَ ، وتُحَطِّمَ زُجَاجَ الشُّرفَةِ المَشئُومةِ الَّتى تُعَشِّشُ فيها .

وهكذا يا وَلَدِى حقَّقتَ المُحال ، الَّذى عجزَ عنه عَشراتُ الحُرَّاسُ والأَبطال .

ضَحِكَ حميدٌ وقال :

ــ صَدَقَ مَن قال : إنَّ الكَذِبَ إن لَم يَضُرّ ، فإنَّهُ قَطعًا لا يُفِيد ، وإنَّ الصِّدقَ من المُؤَكَّدِ عملٌ مجيد ، وهوَ دَائِمًا مُفِيد .

وسُرَّ السُّلطَانُ كَثيرًا بِقِصَّةِ حَميد ، وأَنعَمَ عَلَيهِ بِقَصرٍ مِن أَجمَلِ القُصُور ، ولَقَّبَهُ الصَّادِقَ الجَسور ، وأَمَرَ بِتَعلِيمِهِ فى مَدَارِسِ القُصور .